الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية
المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف- ميلة.

محاضرات علمية في مقياس: السّرديات الغربية الحديثة والمعاصرة
رقم المحاضرة 03
السنة الثالثة: أدب عربي
عنوان المحاضرة:

التيمات السوسيولوجية في رواية طوق الياسمين رسائل في الحبّ والشوق والصبابة لـ وسيني الأعرج

إعداد الدكتور: رضا عامر

السنة الجامعية: 2021/2020م

***- مدخـــــل:**

تطورت الرواية العربية المعاصرة شكلاً ومضمونًا في جميع أقطار الوطن العربي مما جعلها تجد القبول والرضا عند أصناف الجمهور العربي،وقد ازدهرت أعمال الروائيين على الساحة الأدبية تدريجيًا بعدما لقيت الترحيب والدعم النقدي الذي كان يتابع جميع تلك الأعمال،ويساير ها في مختلف مراحلها الفنية ،وبات التنافس الروائي بين الكتاب سمة غالبة على معظم الأدباء الباحثين عن النوعية الفنية والجمالية التي تعطي النص الأدبي تميزة السردي عن غيره خصوصًا أنّ الخطاب الروائي"مليء بالمفاجآت يبني على مستوى تركيبته المتخيلة لغة تشرف على الذات تتحدث لغتها وترسم أبعادها"[1] مماجعل هذا الجنس الأدبي ينتشر بسرعة في كامل الأقطار العربية .

ظلّ أعلام الرواية العربية المعاصرة يقومون بدور بارزٍ في تطوير الأدب العربي ويساهمون في بعث جميع أشكال الفنون المتداخلة مع الرواية كنوع من التلاحم الفكري بين جميع تلك الفنون دون خلل فني أو جمالي منه،ولعلّ الرواية المصرية واللبنانية والفلسطينية والجزائرية قد لعبت دورًا هامًا في تلاحم هذا الفنّ مع غيره من الفنون خاصة روايات نجيب محفوظ صاحب جائزة نوبل للآداب في ثلاثيته: (**السكرية/مابين القصرين/قصر الشوق**) وروايات غسّان كنفاني و منها:(**عائد إلى حيفا...**)،وروايات وسيني الأعرج:(**على شرفات بحر الشمال/سيدة المقام/أصابع لوليتا**)،وثلاثية الروائية الجزائرية أحلام مستغانمي:(**ذاكرة الجسد/فوضى الحواس/عابر سرير**)،وهذه النماذج الروائية العربية قدمت للمتلقي العربي الكثير تشكيلة من الشخصيات حقيقية كانت أم خيالية لتصنع فرجة المشهد في النهاية ليتجاوب معها المتلقي الذي يعيش مع شخصيات الرواية وأحداثها وأزمنتها،وعقدها وتراكيبها من خلال مخياله الفكري.

لقد قدم الإبداع الروائي العربي الكثير من الأعمال الإبداعية للمتلقي الذي وجد على الساحة الأدبية أعمالاً تعبر بصدق عن تجربته الواقعية التي عاشها خلال حقبة زمنية معينة،"ولاغرابة في ذلك،فنشأة الرواية ارتبطت بعمق التحولات التي طرأت على البنيات الاجتماعية"[2] بشكل عام،وماسادها من تغيرات وتفاعلات سوسيولوجية على مستوى البنية الهرمية العرقية للمجتمع العربي بشكل خاص،ونظرًا للتعدد والتنوع الثقافي الذي مسّ كيان المجتمعات العربية من خلال التأثير الغربي الذي أثّر بشكل كبير في أنساقه الثقافية،وهويته سلطت الرواية العربية الضوء على تلك التغيرات التي باتت تمثل صورة فنية وجمالية عن التنوع والتعدد الذي لحق جميع أصناف المجتمع العربي.

أ- مشكلة البحث:

إلى أيّ مدى استطاعت رواية طوق الياسمين رسائل في الحبّ والشوق والصبابة لـ وسيني الأعرج

تجسيد وتمثيل التيمات السوسيولوجبة؟.

ب- أسئلة البحث:

1- كيف استطاعت الرواية تجسيد الواقع السوسيولوجي للشخصيات؟
2- هل تمكنُ وسني الأعرج من حصر التيمات السوسيولوجية الأكثر بروزًا في الرواية؟
3- ماهي التيمات السوسيولوجية الأكثر بروزًا في الرواية.

جـ- أهمية البحث:

يكتسي البحث أهمية بالغة في الكشف عن مختلف التيمات السوسيولوجية في رواية: **طوق الياسمين رسائل في الحبّ والشوق والصبابة لـ وسيني الأعرج**،وتعدادها وعرضها على المتلقي ليفهم جمالية السرد العربي،ودلالاته المتنوعة،فالتيمات التى وظفها الروائي تكشف عن الصورة البوليفية التي تتمتع بها كل شخصية في المتن الروائي وعلاقاتها بالتيمات السوسيولوجية العامة التي حددها الروائي داخل خطية السرد.

د- أهداف البحث:

1- التعرف على أهم التيمات السوسيولوجية التى حدثت داخل المتن السردي.

2- سد النقص في ميدان البحث العلمي في مجال دراسة التيمات السوسيولوجية في الرواية العربية المعاصرة.
3- محاولة تقديم آلية حديثة لدراسة التيمات السوسيولوجية للرواية العربية المعاصرة.

هـ- منهج البحث:

استعان هذا البحث بالمنهج التاريخي و التحليلي الوصفي ،من خلال جمع بيانات لمعرفة بعض الحقائق عن تطور الرواية العربية المعاصرة من خلال تتبع مسيرة السرد العربي،والتيمات السوسيولوجبة التي وظفها الروائي العربي ووظف بها كل شخصية سردية.

و- الدّراسات السابقة:

1- دراسة لحميداني حميد، ***النقد الروائي والآيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي***، المركز الثقافي العربي،بيروت، لبنان،ط1، 1990.
2- دراسة فضيلة فاطمة درويش، ***سوسيولوجيا الأدب والرواية***،دار أسامة للنشر،عمان،الأردن،ط1، سنة2013م.
3- دراسة عبد الله بن صفية، ***السوسيولوجيا والمقاربة النقدية للنص الأدبي***،مجلة العلوم الاجتماعية،ع23، 2016، جامعة باتنة،الجزائر.

*** - الإطار النظري والتطبيقي للدراسة:**

تناولت هذه الدراسة موضوع " **التيمات السوسيولوجية في رواية طوق الياسمين رسائل في الحبّ والشوق والصبابة لـ وسيني الأعرج** كعينة للدراسة والتقصي،وقد شمل الإطار النظري والتطبيقي على المحاور الآتية:

1- أعلام الرواية العربية.
2- أشكال السرد التيماتي في الرواية الجزائرية المعاصرة.

1- المحور الأول: أعلام الرواية العربية

لقد ظهر العديد من أعلام الرواية العربية المعاصرة يصولون ويجولون في صناعة السرد العربي بشتى أشكاله وأطيافه المتنوعة فكانت العديد من الدول المشرقية نحو: مصر ولبنان وسوريا والعراق والأردن وفلسطين تخوض تجربة الكتابة السردية المعاصرة بكل ثقة،ومرجعيات تراثية وفنية وجمالية تحاكي الأدب الروائي العالمي بشكل خاص،فظهرت روايات كل من **نجيب محفوظ** و **يوسف الشرقاوي**، و**نوال السعداوي**،و**إدوارد خرّاط** من مصر و روايات **حنامينه**،**وحيدر حيدر** من سوريا،ومن العراق نجد الروائي **قاسم حول**،والروائية **ميسلون هادي**،ومن الأردن نجد الروائي **أيمن العتوم**، أمّا من فلسطين فنجد الروائي **غسّان كنفاني** و**جبرا إبراهيم جبرا**، و**سحر خليفة**،و من السودان نجد الروائي الفذّ **الطيب صالح** أمّا من العربية السعودية فنجد الروائي **عبد الرحمان منيف** و**سعيد الوهابي**، وغيرهم من الروائيين المشارقة الذين قدموا الكثير للرواية العربية المعاصرة.

في حين كانت الرواية العربية المعاصرة في بلاد المغرب العربي تخوض هي الأخرى جمالية الكتابة والتجريب السردي خاصة في تونس والمغرب الأقصى وليبيا والجزائر بشكل خاص في فترة الإستعمار الفرنسي الذي اجتاح المنطقة،فظهرت الرواية في البداية باللّغة الفرنسية تصور مجازر الإستعمار الفرنسي في حق شعوب المغرب العربي،فكانت تلك الرويات شاهد عيان على بشاعة الإستعمار في حقّ الأبرياء والعزل يعكس الواقع المرير للشعب الجزائري كرواية الأرض والدم " la terre et le sang "لـ"مولود فرعون"،ورواية الدار الكبيرة " la grande maison" لـ"محمد ديب"، وراوية نجمة " Nedjma" لـ"كاتب

ياسين" ورواية الأفيون والعصا " L opium et le Bâton " لـ"مولد معمري"،وجلّ هذه النماذج المترجمة وغيرها كان هدفها دعائي إشهاري للثورة الجزائرية،وإبرازا لقضيتها على المستوى العربي خاصة في إطار الدعم الثقافي والفكري لها .

وفي أثناء مرحلة استقلال شعوب المغرب العربي ظهرت الرواية باللّغة العربية لتصور واقعًا آخر تعيشه تلك الشعوب فكانت روايات كل من (**عبد الحميد بن هدوقة** و**الطاهر وطار**)،وهي روايات تحمل تصويرًا للواقعية الإشتراكية التي مرّت بها الجزائر بعد تبنيها سياسية الإتحاد السوفياتي في تلك الفترة من الحرب الباردة،وفي بداية التسعينيات زمن العشرية السوداء نجد بروز الرواية السوداء عند كل من **بشير مفتي**،و**إبراهيم سعدي** و**واسيني الأعرج** و**أحلام مستغانمي** و**الأمين الزاوي**،أمّا في تونس فنجد كل من **عبد الرحمان عبيد، حياة بن الشيخ، محمود طرشونة**،ومن المغرب الأقصى نجد **محمد برادة،عبد الله العروي**،وفي ليبيا نجد كل العديد من **إبراهيم الكوني،محمد الأصفر،يوسف إبراهيم** ... ،وغيرهم من الروائيين المغاربة الذين قدموا الكثير من الأعمال السردية للمتلقي العربي ذات نوعية فنية وجمالية حققت مقروئية عالية وجوائز نقدية هامّة.

ومع ذلك فقد قدمت الرواية الجزائرية للسرد العالمي والتلقي العربي الكثير من النماذج الراقية التي حملت معها واقع وهموم الإنسان العربي بشكل عام، فكانت الرواية هي المتنفس الوحيد الذي أوصل صدى صوته للعالم الخارجي "لتنقل عددا كبيرا من المعطيات الثقافية والاجتماعية والفكرية وحتى الدينية"[3]التي كان يعيشها بمختلف تصوراتها ومعطياتها الجمالية والفنية،إذ تمكن الروائي العربي من تحقيق لغة تواصلية مع المجتمع والنص السردي حتى يكون التعاطي مع خصائص اللّغة سوسيولوجيًا بشكل سلس يضمن تجاوب المتلقي العربي مع الإنتاج الروائي دونما إشكال ليصل المبدع في النهاية "إلى تشكيل نظام صوري تتجانس داخله الدوال الروائية في تشخيص المعنى،وفي الإحالة على نسق منسجم من الإدراك الذهني والارتباط بمستوى خاص من الاستبطان التخييلي"[4] لدى المتلقي العربي التواق إلى الهروب من واقعه إلى عوالم أكثر إشراقا في مخياله السردي ليعيش التجربة.

لقد تنوعت الكتابات الروائية في الوطن العربي بشكل كبير بداية من كتابات القومية العربية وأدب النكبة وصولاً إلى الروايات التجربية، وروايات الواقعية السحرية والرواية السوسيولوجية،لنصل إلى رواية أدب المحنة في الجزائر في تسعينيات القرن العشرين،وصولاً إلى رواية الإرهاب والتطرف الديني بعد الربيع العربي مع مطلع القرن الواحد والعشرين الذي شكل نقطة محورية في العديد من النماذج الروائية العربية، ليصبح التطرف الديني بعد ظهور الجماعات المسلحة والحروب التي تشهدها المنطقة العربية بين جماعات تسمي نفسها جهادية مع الأنظمة الحاكمة في تلك البلدان، وعليه فقد مثلنا لبعض النماذج الروائية المختارة في الجدول الآتي:

الدولة	اسم الكاتب(القاص)	عنـــوان الرواية / سنة الطبع
الجزائر	**عبد الحميد ابن هدوقة**	ريح الجنوب(1971م) /الجازية والدراويش(1983م)
	الطاهر وطّار	اللاّز(1974م)/الزلزال(1974م)/عرس بغل(1983م)
	واسني الأعرج	سيدة المقام(1995م) / ذاكرة الماء(1997م)

	بشير مفتي	الخرائط والجنائز(1998م)/أرخبيل الذباب(2000م)
	أحلام مستغانمي	ذاكرة الجسد(1993م)/ عابر سرير(2003م)
المغرب	**محمد برادة**	لعبة النسيان(1992م) / امرأة النسيان(2002م)
	عبد الله العروي	اليتيم(1978م) /غيلة(2001م)
تونس	**محمود طرشونة**	دنيا(1993م)/المعجزة(1996م)/التمثال(1999م)
	حياة بن الشيخ	وللحرافيش كلمة(1994م)/بالأمس اغتيل الزمن (1999م)
ليبيا	**إبراهيم الكوني**	الفزّاعة (1998م)/ فرسان الأحلام القتيلة(1912م)
	محمد الأصفر	المداسة(2004م) / تقودني نجمة(2004م)
مصر	**نجيب محفوظ**	ملحمة الحرافيش(1977م)/رحلة ابن فطومة (1983م)
	صنع الله إبراهيم	بيروت بيروت(1998م) /الجليد(2011م)
	جبرا إبراهيم جبرا	البحث عن وليد مسعود(1978م)/عالم بلا خرائط(1982م)
فلسطين	**غسّان كنفاني**	أم سعد(1969م)/عائد إلى حيفا(1970م)
	إميل حبيبي	وقائع أبي النحس المتشائل(1974م)/ لكع بن لكع(1980م)
	سحر خليفة	لم نعد جواري لكم(1985م)/ عباد الشمس(1985م)
سوريا	**حنا مينا**	المرفأ البعيد(1997م)/شرف قاطع طريق(2004م)
	حيدر حيدر	وليمة لأعشاب البحر(1984م)/شمس الغجر(1997م)
السعودية	**عبد الرحمان منيف**	الأشجار واغتيال مرزوق(1973م)/ النهايات(1977م)
العراق	**إنعام كجه جي**	سواقي القلوي(2005م)الحفيدة الأمريكية(2008م)
السودان	**الطيب صالح**	موسم الهجرة إلى الشمال(1966م)/عرس الزين(1969م)

أمّا عن التجربة العربية النقدية في مجال الرواية العربية،فنجدها ارتقت كثيرًا في العديد من النماذج الرواية تنظيرًا وتطبيقًا،خاصة في العديد من النماذج الروائية العربية المعاصرة للعديد من الأعمال الروائية من المشرق العربي حتى المغرب العربي،فكانت تلك النماذج بمثابة شاهد فني للسرد العربي،والجدول الآتي قد حدد بعض النماذج النقدية السردية المعاصرة عشوائيًا:

اسم المؤلف	عـــــنوان الكتاب النقـــدي	بلـــد النشر	الطبعة/ السنة
موسى سليمان	الأدب القصصي عند العرب	دمشق/ سوريا	ط3/1960م
عبد المحسن طه بدر	تطور الرواية العربية المعاصرة في مصر	القاهر/ مصر	ط1/ 1963م
فاروق خورشيد	في الرواية العربية (عصر التجميع)	دمشق/ سوريا	ط3/ 1979م
محمد كامل الخطيب	الرواية والواقع	بيروت/لبنان	ط1/ 1981م
نبيل سليمان	الرواية السورية(1967-1977م)	دمشق/سوريا	ط1/1982م

محمود أمين العالم	الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية	دمشق/ سوريا	ط1/ 1986م
إبراهيم سعـــــافين	تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام	دمشق/ سوريا	ط1/ 1987م
ميخائيل باختين	أشكال المكان والزمان في الرواية	دمشق/ سوريا	ط1/1990م
محمد كامل الخطيب	تكوين الرواية العربية (اللغة و رؤية العالم)	دمشق/ سوريا	ط1/1990م
إيان واط	نشوء الرواية/ترجمة عبد الكريم محفوظ	دمشق/سوريا	ط1/1991م
بوشوشة بن جمعة	مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة	المغرب	ط1/1992م
سعيد يقطين	الرواية والتراث السردي	بيروت/ لبنان	ط1/1992م
مصطفي عبد الغني	الاتجاه القومي في الرواية	الكـــــويت	ط1/ 1994م
بدر عبد المالك محمد	ملامح من أدب أمريكا اللاتينية	بيروت/لبنان	ط1/1994م
سعيد يقطين	انفتاح النص الروائي(النص والسياق)	المغـــــرب	ط1/1988م
عبد المالك مرتاض	في نظرية الرواية	الكـــــويت	ط1/ 1998م
بلحيا الطاهر	التراث الشعبي في الرواية الجزائرية	الجـــــزائر	ط1/2000م
عبد النور إدريس	دلالات الجسد الأنثوي في السرد النسائي العربي	مكناس/المغرب	ط1/2006م
سعيد يقطين	قضايا الرواية العربية الجديدة(الوجود والحدود)	القاهرة/مصر	ط1/2010م

2- المحور الثاني: أشكال السرد التيماتي في الرواية الجزائرية المعاصرة

يعدّ عصر النهضة الأدبية والفكرية منارة حقيقية شهدت ظهور عدد من المبدعين الجزائريين ،حيث كان أدبهم أشبه مايكون بتحليل نفسي واجتماعي لهموم المجتمع الجزائري خاصة والعربي عامة ،إذ حققت الرواية الجزائرية فيه ثراء فنيا كبيرا، خلال فترة زمنية محدودة، استطاعت فيها أن تتجاوز المحلية " لتلتحق بمصاف العالمية، وذلك على يد جيل طموح تواق إلى المعرفة،أكد ذاتيته من خلال كتابة روائية تخطت الالتزام الاجتماعي والسياسي، ومكنت الكاتب من التعبير عن رؤاه تجاه واقعه"[5] ،ومع ذلك بقي التأخر الزمني الذي شهدته الرواية الجزائرية ذات التعبير العربي– مـأزقًا حقيقيًا لكون بدايات الرواية الجزائرية كانت باللغة الفرنسية خاصة على يد محمد ديب، في حين ظهر أوّل عمل روائي باللغة العربية سنة **1971** بعنوان**" ريح الجنوب "** للكاتب **عبد الحميد بن هدوقة** – قد تم تجاوزه عبر التراكم الحاصل في هذا اللون الإبداعي منذ منتصف السبعينيات، حيث سعى الروائي الجزائري إلى تأسيس تجربة روائية رائدة تنحو نحو الأصل، من أجل تكريس خصوصية للخطاب الروائي، فراح يبحث عن أشكال يثبت من خلالها هويته ويؤسس لتجربة مطبوعة بطابع المحلية. وكان التراث سمة بارزة وملمحًا واضحًا، أذّن بميلاد رواية جزائرية تحمل في طياتها ملامح الخصوصية والتميز، ونحن لا نجزم بأن التميز كان شاملا وعامًا ولكنه تميز نسبي وجزئي مما جعل الخطاب الروائي يقيم صلة مع تراثه الشعبي

وتراثه العربي الإسلامي، بل تجاوزهما في بعض الأحيان لينهل من التراث الإنساني الذي يعد إرثا حضاريًا يستدعيه المبدع متى شاء ليعبر من خلاله عن تجربته الحضارية.

ففتح هذا الأمر للمبدع الجزائري نافذة الارتقاء بإبداعه **الروائي/القصصي** حيث كان عالمه أقرب إلى التعبير عن التيمات العاطفية،والأحزان التي ترافق هذه التجربة والجدار السميك الذي تصطدم به في مجتمع تقليدي مغلق،خاصة في ظلّ مثاقفة المجتمع الجزائري،وبعض العائلات العربية المتعلمة بالثقافات الغربية الوافدة إلينا عبر مختلف نوافذ التأثير والتأثر,فكان هذا دافعا حقيقيا " فضح التقسيم الاجتماعي"[6] ،فكانت الرواية صرخة ورهانًا حقيقيًا لارتقاء الكتابة الجزائرية إلى منزلة الذات الثقافية المبدعة"[7] الباحثة عن استرداد مكانتها في صنع القرار ولذلك كانت المناداة بتحرير هوية المجتمع الجزائري سوسيولوجيًا من داخل النصوص القصصية بمثابة الدعوة للاعتراف بالجميل ورد الاعتبار إليه, تحقيقا لوجوده الإنساني من جهة، ورفضًا للقهر من جهة ثانية،لما قدمه من تضحيات جسام في فترة الاستعمار الفرنسي وصولا إلى مرحلة البناء والتشييد والتطوير،و بذلك بات السرد الروائي الذي أبدعه الروائي الجزائري" يشغل بال كثير من الكتاب والنقاد"[8]،ذلك أنّ إبداعه السردي هو محاولة جريئة لتشكيل لغة تحمل شعار التّحرر والتمرد، على جميع أشكال المقدنس الذي بات يطوق ذوات المجتمع الجزائري المعاصر من خلال اللّغة التيماتية السردية التراثية التي تبدو"هي الوسيلة الوحيدة لاستعادة الهوية"[9]،ليقوم المبدع في النهاية بأكبر حركة تمرد على الأنظمة القديمة بعدما تمرد على كل المرجعيات السردية الرجعية التي فرضت نمطًا معينًا للعيش دون التحرر منه.

2. 1- تيمة سرد الذّات:

لقد اتجهت الرواية الجزائرية المعاصرة في مرحلة المعاصرة نحو لغة التطوير والتجديد،ومواكبة الواقع الذي عكسته حركة السرد العربي أثناء المرحلة الرومانسية بالتعبير عن محتوى العالم الداخلي للمبدع،وتحليل تيمات نفسيته،حيث أصبح متحررا بعد أن كان قابعا لفترة من الزمن عبر بوابة"الأحداث التاريخية، والاجتماعية والإنسانية"[10] فأصبحت الرواية الجزائرية المعاصرة تحكي مواضيع عن الواقع اليومي مبتعدة عن كلّ غرض أو موضوع تقليدي، ليتحول الإبداع إلى منفذ هام يستلهم منه لغته السردية،ويعكس من خلاله ذاته بكلّ حرية، كون المبدع الجزائري في وقت مضى لم يجد فيما هو متاح من النتاج السردي والأدبي ما يعبّر عن همومه الخاصة،وقد شكّلت هذه المعضلة إشكالًا إبداعيًا،صار فيما بعد من أبرز الدوافع لظهور الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة بعد أن نبغ فيها عدد وفير من المبدعات" حفلت بهنّ وبأدبهنّ كتب التاريخ في شتى العصور والأزمنة"[11] في تجربة جمالية مغايرة جعلت من السرد النسوي يستعيد بعض أنفاسه التي فقدها.

وقد ظهرت العديد من المحاولات السردية الجزائرية عبر فترات تاريخية متباينة من القرن العشرين منهم:(**محمد ديب،عبد الحميد بن هدوقة،الطاهر وطّار، رشيد بوجدرة، زهرة ديك،شهرزاد، زليخة السعودي، مبروكة بوساحة،واسيني الأعرج، أحلام مستغانمي،الأمين الزاوي،بشير مفتي،إبراهيم سعدي،عثمان سعدي،فضيلة الفاروق،جميلة طلباوي، زينب الأعوج**...إلخ)،وكلّ تلك النماذج بدأت تصنع لنفسها كيانا مستقلا قصد الوصول للمجد الإبداعي الذي بدأ يتجسد في الإبداع النثري الجزائري زمنا ضمن نسق كان

فيه " التفرد والذات المتعالية"[12]هما ميزة الإبداع تلك المحاولة أكثر نجاحًا,بعد أن تجاوزت حدود الإقليمية لتصبح نقلة فنية،وحضارية عامة في السرد الجزائري ولم تمضِ أعوام قلائل حتى شكل هذا اللّون التيماتي الجديد من السرد الجزائري طفرة نوعية حطمت كل القيود المفروضة على نوعية السرد الجزائري،على أنه إبداع قوالبه جاهزة لدى بعض الروائيين لأنّها غير مؤهلة لولوج هذا العالم "ومن الواضح أنّ أسئلة الإبداع والأصالة ومطمح التأصيل مع سؤال الذات عن موقعها الإبداعي الفردي المتميّز كانت المحك الدائم وراء الإحساس بأنّنا في زمن مختلف برزت فيه فردية الفرد وشعور الذات بأنّها قيمة إنسانية لها خصوصيتها من جهة ولها حقوقها"[13]،وتطلّعاتها من جهة أخرى.

وبما أنّ السرد الروائي الجزائري المعاصر بكلّ مكنوناته،وجغرافيته،هو صدى ذات المبدع التي وجدت فيه هدفها "ضمن فضاء التبادل الرمزي كفضاء مؤسساتي"[14] يندرج داخل هندسة النص القصصي مواكبًا به كلّ المصائب التي شهدها المجتمع الجزائري عن طريق إبراز مختلف صور التحدي التي بات يتكبّدها الروائي مع الكتابة من جهة،وأزمات المجتمع الجزائري بداية من الاستعمار الفرنسي،وماخلفه من جرائم إنسانية في حق الجزائريين،ونهايتة بالعشرية السوداء، وإفرازاتها الخطيرة على نفسية الفرد من دمار وقتل وتهجير من جهة ثانية،وهذا كله إبرزًا للمشهد التاريخي،وحالات الاحتقان التي عاشتها الأمة الجزائرية بكل أشكالها،وأمام هذا الوضع الراهن ظهرت نخبة من المبدعين ألّفوا نماذجًا قصصية تفسر واقعهم المرير إلى "جانب الحدس والرؤى المركزية(...) والتي أصبحت تُطلب في ذاتها,ولذاتها"[15]،ولتختزل بذلك صور أقانيم النفس، في ظلّ الفراغ الثقافي الذي أحدثته خيبات المجتمع/الساسة في وطن اسمه الجزائر بداية من الصراع على السلطة بعد الاستقلال خصوصًا بين القادة العسكريين والقادة السياسيين وصولاً إلى أزمة البلاد مع الإرهاب في مطلع التسعينيات،وما خلفته من شتات فكري،وصراع نفسي يتجرع مرارته كلّ ثانية المثقف والمبدع والفنان،ما دفع العديد من المبدعين إلى الجرأة على خوض تجربة الكتابة الأدبية الجريئة،والتي وجدوا فيها متنفسًا للتعبير بكلّ حرية بعد أن لزموا الصمت مدة كبيرة كانوا فيها هدفًا للقنص الفكري والنفسي، ومركزا للتصفية الجسدية.

2.2- تيمة السرد الغيري:

لقد باتت الأصوات السردية في نهاية السبعينيات حتى بداية التسعينيات من القرن الماضي،تمثل انعطافا كبيرا،إذ تمكنت إلى حدّ بعيد من الابتعاد عن السردية المباشرة للأحداث من خلال الاستعانة " بالعناصر الدراسية في فني القصة والمسرحية التي تساهم في خلق الصراع والحركة الدرامية"[16] في مختلف الأعمال الروائية فهي تحمل في مضامينها مسؤولية بالغة التعقيد, إذ لم يكن الأمر حينها غاية في السهولة، بل هو مجازفة كبرى خاصة أنّ الأدباء في القرن العشرين كانوا يؤمنون بثقافة التعدد المحيطة بتجربة الأديب الإبداعية التي توجه سرده نحو ثقافة إيديولوجية معيّنة تميزه عن غيره.

وعندما نتأمل ببليوغرافيا الكتابة الروائية الجزائرية في ميدان السرد العربي في الثلث الأخير من القرن العشرين نجد أنّ هاجس إثبات الذات،وما يترتب عليه من إعلان للهوية الوطنية وتوسيع حيز حراكها الحياتي والأدبي على درجة من الوضوح، يعدّ انتفاضة واعية بصور التهميش والانتقاص التي عانى منها الروائي الجزائري زمنا طويلاً، لذلك كانت الكتابة الروائية الجزائرية تمثل طاقة كامنة تحررت لتحطيم كل "مظاهر التسلط،والاستبداد وفضح المتناقضات الاجتماعية ذلك أنّ معظم التعب النفسي الذي صورته الكتابة السردية

ليس إلاّ وليد الصراع الكامن (...) بين هموم الذات وهموم الجماعة"[17]،لهذا كان الروائي الجزائري على الدوام يساهم في تعزيز ذاته قدرةً وتميّزاً, لإبراز سرده كقوة فاعلة ومشاركة في الفعل الإبداعي سوسيولوجيًا،لإبدال موقعه من خانة المقصي إلى الموجود للبرهنة على حقه المشروع في عملية الإبداع وفق رؤيته للعالم ولمجتمعه بالخصوص، وبهذا أصبح الإبداع الروائي الجزائري ظاهرة ثقافية، ورافدًا من روافد النثر العربي المعاصر،حيث اتّسم بلغته،وبمواضعيه المصورة لمختلف جوانب النفس البشرية،حاملاً حلم التحدي وقضية التحرر والمساواة بين عالمي المرأة والرجل،من أجل القضاء على جميع مظاهر العبودية،بعد أن أصبحت الرواية الجزائرية تعيش في توتر دائم مما جعلها دوما في بحث مستمر[18] نحو استكمال وجودها ، وكينوناتها في عالم السرد العربي وقضاياه.

في نهاية المطاف بدأ الإبداع الجزائري يشهد تحررا عبر نافذة السرد ليخرج من غربته وليس غريبًا أن يتعلق المبدع الجزائري بمشاهد الحلم والاستئناس التاريخي في ذاكرة التلقي، و مخياله ،وهما عاملان مساعدان على عملية التأليف،ومصدران هامان لنقل مختلف المشاهد التي هي في بؤرة اللاشعور،وبالكتابة وحدها تمكّن السرد الجزائري من إظهار تلك المشاهد الحسية، والنفسية والسوسيولوجية، للكشف عن تلك المعاناة والآمال،والتي خصّ بها المبدع خطابه القائم على ثنائية(**الحلم/الذاكرة**) ليجسد حينها س" خطابا للرغبة وللإدراك المحررين من وطأة التقاليد"[19]،وفلسفة الطقوس التي تمارس سلطاتها على الروائي والذي نجده في تطلع مستمر إلى بناء أنا مغايرة متسائلة قلقة من المستقبل وما يخفيه.

3.2- الملامح التيماتية في رواية طوق الياسمين:

يعدّ البحث في الرواية السير ذاتية أو الغيرية ضربا من الإشكال العميق كون هذا النوع من السرد خاض مخاضا كبيرًا من التطور التاريخي حتى وصل إلى القارئ العربي،بداية من أشكال التراث السيراوي السوسيولوجي الذي جاد بها الفكر العربي خاصة سيرة ابن هشام وسير عنترة بن شداد والأميرة ذات الهمة والسيرة الهلالية،ولما استتب الأمر للسرد العربي ظهرت العديد من السير الذاتية نحو: كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق لأحمد فارس الشدياق،وكتاب الأيام لطه حسين، وكتاب حياتي لأحمد أمين، كما نجد قصة سارة لعباس محمود العقاد،وقصة عودة الروح لتوفيق الحكيم، وقصة إبراهيم الكاتب للمازني، ثم تطورت السيرة إلى تناول بعض السير الغيرية،والتي قد تكون عربية بحتة أو غربية نحو رواية هكذا خلقت لمحمد حسين هيكل،وقصة غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو، ورواية ريح الجنوب لبن هدوقة،ورواية طوق الياسمين لواسيني الأعرج، والتي تصور لنا نموذجين سوسيولوجيين من أدب السير فالنموذج السوسيولوجي الأول من الرواية يحكي لنا عن نموذج للسيرة الذاتية وقعت أحدثه بين (**شخصية الراوي/ شخصية مريم**)،أمّا النموذج السوسيولوجي الثاني فيحكي عن صورة للسيرة الغيرية لبطل الرواية الشاب الجزائري المسلم(**عيد عشاب**) وصراعه العقدي مع والد حبيبته (**سلفيا**) **المرأة السورية المسيحية** الذي حال دون الزواج بها بعد فراقه للحياة تاركًا مأساة كبيرة في قلب حبيبته (**سيلفيا**).

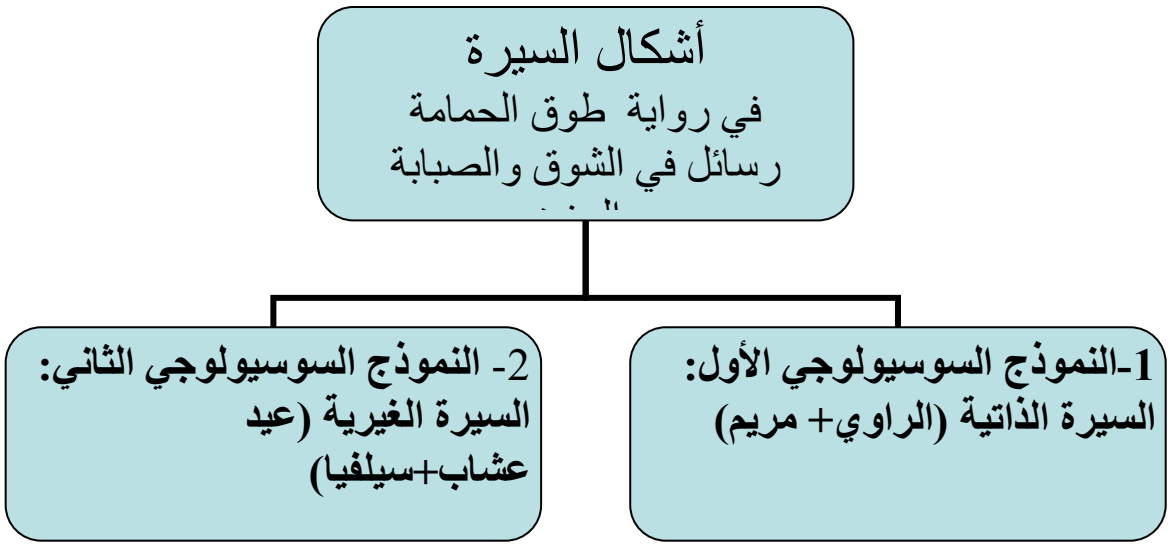

أ- **تيمة الحبّ/الجنس**:

تبدو مسألة الحبّ/لجنس في الرواية العربية مسألة محظور الحديث عنها إلاّ إذا كان الروائي لديه الجرأة في تخطي هذا الحاجز ،وكسر هذا الطابو الذي قيد حرية الروائي في البوح وكشف خفايا بعض العلاقات المحرمة في متن السرد الروائي،"ذلك أنّ الجنس ظلّ دائمًا -كعلاقة حيوية بين الرجل والمرأة- معيارًا صادقًا في تحديد معنى المرأة عند الرجل،ومعنى الرجل عند المرأة،بل كان مقياسًا بالغ الحساسية لأكبر معاني الحياة الإنسانية"[20]،ومع انفتاح السرد العربي على السرد الغربي على مختلف هذه التيمات السوسيولوجية من خلال التأثير والتأثر والترجمات المتعددة لمختلف الروايات الفرنسية كرواية (إميل زولا،وبلزاك، فلوبير...إلخ)،وغيرها من الروايات التي عالجت مسألة الجنس بصورة عادية دون تردد من الروائي.

وبما أنّ الأديب العربي بدأ في فضح المستور من العلاقات المحرمة سوسيولوجيا بدأت تتكشف هذه الطابوهات تدريجيًا داخل بنية المجتمعات العربية المنغلقة على نفسها من خلال العديد من القصص الجريئة التي وجدت ضالتها في العديد من الروايات النسوية العربية نحو: ثلاثية أحلام مستغانمي(ذاكرة الجسد،فوضى الحواس،عابر سرير)، رواية دم الغزال لحنان شيخ،وراوية تاء الخجل لفضيلة الفاروق، ورواية جراح الروح والجسد لمليكة مستظرف...إلخ،وقد كانت العلاقات الاجتماعية التي طرحتها الروايات العربية على تعدد مشاربها وكتابها صورة واقعية على أنّ"العلاقات الغرامية "كانت وماتزال بمثابة المحك الاجتماعي الذي يحدد لنا الخطوط العامة والتفصيلية كما تراها المرأة بل كما يراها المجتمع"[21] ، وهذا الأمر ساهم في طرح هذه التيمة داخل السرد الروائي،وبات توظيفها يعدّ ضرورة مثيرة لابدّ منها في تحريك مشاعر الشخصيات الروائية وتحولهم من كائنات ورقية كما يقول(**رولان بارت**) إلى كائنات بشرية تتحرك وتحب وتعشق وتمارس مختلف طقوس الغرام والعلاقات الحميمية بكل واقعية.

وعليه تدور أحداث رواية **"طوق الياسمين – رسائل في الحبّ والشوق والصبابة"** للروائي الجزائري **(واسيني الأعرج)** حول تجسيده لسوسيولوجية **تيمة الحبّ والحنين(الجنس) و لوعة الفراق** من خلال رسائل الحبّ بين الأحبّة و العشاق، فالرواية في مجملها عبارة عن مجموعة رسائل تدور بين الأحباء ،ومافيها من حبّ و آهات ، فأحداث الرواية تقوم على السرد:(**الذاتي/ الغيري**) لأبطال وقعت لهم مفارقات غريبة لعب القدر فيها دورًا كبيرًا ،فالحكاية الأولى تدور حول وقوع الراوي في عشق امرأة تدعى (مريم) ومكابدتهما في سبيل بقاء هذا الحبّ شامخًا،وبما أنّ" الصوت المهمين في رواية السيرة هنا،هو صوت الذاكرة التي تعمل على استعادة الأحداث والصور التاريخية بطريقة انتقائية وشاعرية وذاتية في كثير من الأحيان"[22] غير أنّ خيوط القدر كانت قد لعبت بهما فيفرق القدر بين (**الرواي/مريم**) رغم كل شيء، فقد كان الألم عظيمًا خاصة بعد أن مارسا متعة الجبّ و رعشة الشوق و الحنين ، و تذوقا طعم الفراق خاصة (**شخصية مريم**) والتي تمثل " بقايا الأبجدية المستحيلة، هل تدرين؟" [23] ، لقد عانت (**مريم**) كثيرًا لفراق حبيبها وتخليه عنها ورفضه الزواج بها في الحلال ، فهي ككل أنثى تريد أن تتزوج و تنجب طفلا يكون ثمرة لهذا الحب الكبير ، وقد وضعت(**مريم**) حبيبها في وضع جعله لا يتحمل هذه المسؤولية الكبيرة على عاتقه، وتفضيله التخلي عنها بكل بساطة، و لكن "مريم" لم تقف عند هذا الحدّ بل هددته فإمّا الزواج و إما أن ترى حياتها مع شخص آخر و هو "صالح" لينتهي بها المطاف بالحمل من حبيبها بعد اللقاءات الغرامية التي كانت بينهما سرًا إلا أن القدر رجع ليلعب دوره مجددًا ، فقد اكتشفت مؤخرا مرضا قلبيا خبيثا كانت تعاني منه فماتت و هي تضع رضيعتها **"سارة"** التي لم ترى من الدنيا سوى أمها . لقد ماتت **مريم** و **سارة** في يوم واحد تاركة ألمًا كبيرًا في قلب حبيبها الذي كان يشتاق لهمساتها و جنونها و طفولتها ، وهذا ما أشار إليه الراوي بقوله:" بعد عشرين سنة لم أفعل شيْا سوى البحث عنك (...) ضيقة هي الدنيا، ضيقة مراكبنا، للبحر وحده سنقول، كم كنا غرباء في أعراس المدينة"[24]، وهذا الألم قد صاحب الراوي طوال حياته كنوع من تأتيب الضمير، والألم النفسي الذي بقي ينغص عليه حياته.

ب-تيمة الدين(المعتقد):

لو عدنا لمسألة المعتقد وتيماته الاجتماعية المتعددة لوجدنا أنّ هذه الإيديولوجيا "تقتحم النص باعتبارها مكوناته الأولية ،لأنه لايمكن بناء نص روائي إلاّ من خلال هذه المادة الأولية"[25] ، وبما أنّ الشق الثاني من الرواية يتحدث عن هذا الإشكال كان لابدّ علينا من طرح مسألة المعتقد لكونها تحدد مصير كل شخصية وتوجهاتها الإيديولوجية التي ترسم لها طريقها داخل المتن الروائي،وهذا ما وضحه الروائي- واسيني الأعرج- في الشق الثاني من الرواية السيرواية من خلال حكاية الشاب **الجزائري المسلم** الذي و قع في عشق فتاة **سورية مسيحية** تدعى **(سيلفيا)**،وبما أنّ هذه الأخيرة كانت تنتمي إلى عائلة محافظة لا تسمح بتخطي الحدود الدينية ، ولا حتى الأعراف المسيحية ، فقد كان والد **"سيليفيا"** – الفتاة السورية المسيحية- رجلا متشددًا،حيث وقف بالمرصاد أمام هذه العلاقة فرفض تزويج ابنته من الشاب الجزائري المسلم " **عيد عشاب**" .

رغم أنّ هذا الشاب تقدم لخطبتها مرات عديدة على أمل أن يرأف والدها بحالهما، لكن محاولاته باءت بالفشل فلجأ إلى شرب العرق بجنون ليتناسى حبه و عذاب الفراق الذي ترك ألما و جرحا عميقا في قلب **"عيد عشاب"**، أماّ **"سيليفيا"** هي الأخرى فقد تأثرت نفسيا

خاصة بعد إصرار والدها على تزويجها ابن عمها ، فكان أخوها جورج هو الوحيد الذي أحسّ بألمها فكان يساعدها على لقاء **"عيد عشاب"** بعيدا عن الأعين إلاّ أنّ تلك اللحظات و القبلات المسروقة لم تكن كافية لإطفاء نار الحبّ الكبير في قلبيهما ، حتى بعد مرور عشرين سنة من وفاة عيد عشاب لا تزال حبيبته سيليفيا تتردد على قبره لتقف أمام شاهدة قبر حبيبها حيث تقول:" عشرون سنة وأنا أقاوم عبثًا شططه وها أنت اليوم تضيف إلى شقائي حزنًا آخر، هو على الأقل ذهب وارتاح، ربما... كم أشتهي أن أنساه لأتفرغ لأبني وأمي وزوجي ولكني مريضة به ويبدو أني سأنقله معي إلى القبر بعد أن سحبته ورائي إلى أكثر الأماكن حميمية محنة العاشق أنّه لاينسى أبدًا" [26] فرغم زواجها و إنجابها الأطفال إلا أن مكانة عيد لا تزال محفورة في قلبها ،فكانت تساعد الحارس لينظف القبر من الأعشاب الضارة لينام حبيبها في أمان وسط محيطه الصغير الذي يملأه نوار الدفلى الأحمر و الأبيض والبنفسجي، وتمضي صبيحة يوم الأحد على قبر والدها تقوم بالشيء نفسه،فتلك الفتاة السورية المسيحية العاشقة "سيلفيا" لم تتغير كثيرا ولم تغيرها الأيام و السنين ، فرغم انطفاء الذين تحبهم فهي لم تنساهم أبدًا خاصة بعد أن قدم لها الراوي مذكرات حبيبها (عيد عشاب)،حيث "لم تندهش (...) قبلتها كمن يلثم كتابًا مقدسًا ثم وضعتها على صدرها وضمتها بقوة،قلتُ: أنتي أولى بها منّي ضعيها في عينك" [27] .

لقد كانت كل كلمة في تلك المذكرات موجهة إلى **"سيلفيا"**،حيث كان يحك لها عن يومياته وجنونه و حبه و عشقه و شوقه الكبير لها، وكذلك ما فعل به الفراق و البعد عنها فـــ **"عيد عشاب"** حسب رأي **"سيلفيا"** لم يشبه أحدا ،ولم يكن أحد يشبهه ،فهذا العمل الروائي جسد فعليًا "رواية المكان المبتور والتاريخ المنتهك،بقدر ما هي أيضا رواية الجسد المكسور والناقص الذي ما إن يشع أمامه بريق أمل،حتى تنهال عليه الخيبات والهزائم"[28] فهي لم تجد من ذكراه سوى التفتيش في ثنايا المذكرات و الرسائل التي تركها لها ، ظلت **"سيلفيا"** تعيش عزلة المقابر و البرد تبذل محاولات بائسة للنسيان دون جدوى منها، فعندما ذهب عنها حبيبها **"عيد عشاب"** أخذ معه كل الأشياء الصغيرة و الجميلة ابتسامته، و أسئلته ، فلم تجد سوى المقابر عزاء لها من خيبات الزمن وغدره.

***- خـــاتمة:**

إذن باتت مسألة الكتابة السوسيو سردية بمثابة نظرة جديدة للعالم، وطريقة حضورها فيه،فهي تشرّع الوجود لنفسها، ولنهضتها،وهذا مايجعل استراتيجية الكتابة الروائية " تتحدد وفق معطيات مسبقة ،يكتسبها النص من تلك الفكرة التي يبني عليها الكاتب نصه، لينطلق إلى عمقه محاولا بذلك بناء وتركيب أجزائه(...)،فهو يحاول أن يضع تصميما أوليا لما سيكتبه"[29] كما نجد الرواية السيراوية الغيرية العربية هي الأخرى قد خاضت مسيرة كفاح مريرة أدّت إلى بروزها تدريجيا صحيح أنّ هناك اختلاف على مستوى آلة الإبداع بين كل كاتب وآخر،لكن هذا الاختلاف يعود" إلى طبيعة المبدع نفسه، "[30]ومع ذلك فقد شكّل الإبداع الروائي الجزائري في أدب السيرة العربية بشكل عام ظاهرة سوسيولوجية وفنية وجمالية عبر كلّ مستوياته اللّغوية والفكرية، وتيماتها المتعددة التي تستدعي من المتلقي العربي ضرورة القراءة الواعية التي تسمح له من فهم مختلف التيمات السوسيولوجية، والوقوف على جمالياتها المتعددة .

الهــوامش والإحـــالات:

(1)عبد النور إدريس:دلالات الجسد الأنثوي في السرد النسائي العربي،منشورات سلسلة دفاتر الاختلاف ،مكناس، المغرب،ط1، 2006،ص، 69.

(2) سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة(الوجود والحدود)،رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر،ط1 ،2010 ص284.

(3) كلود عبيد:جمالية الصورة ،في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر،مؤسسة مجد، بيروت،لبنان، ط1، 2010، ص102.

(4)شرف الدين ماجدولين:الصورة السردية في الرواية و القصة و السينما ,الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،ط1 ،2010 ,ص10.

(5) بوشوشة بن جمعة، مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة، ج الأول، بيت الحكمة قرطاج، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات 1992، ص : 7.

(6) المتوكل طه وآخرون: شاعرا فلسطين إبراهيم وفدوى طوقان،مراجعة وتقديم ناصر الدين الأسد، دار الفاربي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن،ط1 ،2006 ص130.

(7) جليلة الطريطر: كتاب الهوية الأنثوية في السيرة الذاتية العربية الحديثة ، مجلة الحياة الثقافية،وزارة الثقافة والمحافظة على التراث،ع195، تونس،2008، ص06.

(8) لوسي يعقوب: لغة الأدب والشعر في كتابات المرأة العربية، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص 03.

(9) المرجع نفسه، ص63.

(10) المرجع نفسه، ص04.

(11) المرجع نفسه الصفحة نفسها.

(12) عبد الله محمد الغذامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1 ، 1999.
ص53.

(13) المرجع نفسه،ص36.

(14) نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة،،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء،المغرب، ط1، 2007.
ص381.

(15) عبد العزيز موافي: قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر،ط1، 2004،ص 22

(16) محمد جابر عباس: شعرية البنية الدرامية والقصصية في القصيدة الكويتية المعاصرة، مجلة البيان،ع 370، الكويت 2001، ص08، 09.

(17) أسامة يوسف شهاب: الحركة الشعرية النسوية في فلسطين والأردن(1948-1988)، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، الأردن، ط1، 2000، ،ص321.

(18) عبد الفتاح صبري:صورة المرأة في القصة النسائية،الإماراتية،(مقتربة تأويلية)،منشورات اتحاد كتاب وأدباء الأمارات، الشارقة، الأمارات العربية المتحدة، ط1، 2005، ص28.

(19)مجموعة من الكاتبات والكتاب:الكتابة النسائية(محكي الأنا،محكي الحياة)،اتحاد كتاب المغرب ،المغرب،ط1، 2007، ص07.

(20) غالي شكري: أزنة الجنس في القصة العربية،دار الشروق،القاهرة،مصر،ط1، 1991،ص268.
(21) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(22) مريم جبر فريحات: البوليفونية في الرواية العربية ودراسات أخرى،مطبعة السفير،ط1، 2013،ص 204.
(23) واسيني الأعرج: رواية طوق الياسمين (رسائل في الشوق والصبابة والحنين)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط2004،1، ص 09.
(24) الرواية: الصفحة نفسها .
(25) حميد لحميداني: النقد الروائي(من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي)،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب،ط1، 1990،ص26.
(26) الرواية: ص 14.
(27) الرواية: ص 10.
(28) إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة مابعد الإستعمار،دار رؤية، القاهرة،مصر، ط1، 2012،ص238.
(29) عبد الواحد معروفي: في رحاب الشعر، دراسة أدبية ، مطبعة تانسيفت، مراكش، ط1، 1994، ص6.
(30) أسامة يوسف شهاب:الحركة الشعرية النسوية في فلسطين والأردن(1948-1988)، ص38.